سعاد تكذب ..

بقلم/ عبدالجواد الحمزاوي

الهدوء والسكون كانا يملآن كل أركان المنزل . . تنبهت الأم فجأة وتساءلت . . أين سعاد؟ . .

لم تكن سعاد مع جدتها . . أسرعت الأم تبحث عنها في كل مكان . . أخيرًا وجدتها في غرفة نوم الأبوين تعبث بحلي أمها أمام المرآة . . تلبس السلاسل والأقراط الذهبية، ثم تسير أمام المرآة وهي تنظر إلى نفسها بإعجاب وتضحك . . لم تكن الأساور تستقر في يديها الصغيرتين . . جربت أن تلبسها في عضديها، ولكنها رفضت الاستقرار أيضًا . . لم تجد بدًا من أن تسير وهي رافعة يديها، حتى لا تسقط الأساور على الأرض . .

لم تشأ الأم الغاضبة أن تفاجئ ابنتها وهي على هذه الحال . . تراجعت قليلاً عن باب الغرفة، ثم رفعت صوتها مخاطبة الجدة . .

- أين سعاد يا حاجة . . أتكون قد نزلت الشارع؟

بسرعة . . خلعت سعاد كل ما عليها من حلي أمها، ثم وضعتها في علبها، وأعادتها إلى درج الدولاب، الذي نسيته أمها مفتوحًا . . بعد قليل، خرجت من غرفة نوم والديها، وهي ترسم ابتسامة ساذجة على وجهها وتقول:

- هاأنذا يا أمي . .

جرت سعاد بسرعة إلى غرفة جدها وجدتها، وذهبت الأم إلى المطبخ لتكمل إعداد طعام «الغداء».

طوال الوقت كانت الأم تفكر في طريقة تخبر بها سعاد أنها رأتها وهي تعبث بحليها . . . لم تكن تريد ضرب سعاد، فالضرب وحده لم يعد يجدي . . . كانت تخاف، إن هي سكتت، أن يغري هذا سعاد بالعودة مرة أخرى إلى هذا العبث السخيف، أخيرًا استقر رأيها على أن تخبر الجميع بعد «الغداء» بما فعلت سعاد . . .

قالت الأم لنفسها وهي تقلب الحساء «نعم، سيضحك منها خالد وعمرو، وستغضب منها جدتها وجدها، وسيمنعها هذا من العودة مرة ثانية لمثل هذا العمل» . . .

قطبت الأم جبينها وهي تنظر للأمام . . . كانت تخاف أن يقوم الأب بضرب ابنته . . . لم يلبث هذا التقطيب أن زال سريعًا، حين اطمأنت نفسها بأن وجود الجد كاف لمنع هذا، علاوة على أن الجد سيقوم، كما اعتاد، بإفهام سعاد خطأ ما فعلت بهدوء . . .

حينما فرغ الجميع من طعام «الغداء»، جلسوا في غرفة الجلوس يشربون الشاي، ويتحدثون . . . نظرت الأم إلى الأب ثم قالت :

- أبا خالد . . . هل قالت لك العصفورة ماذا فعلت سعاد اليوم؟

تنبهت سعاد الصغيرة على الفور ثم قالت لأمها :

- لم يكن هناك عصافير يا أمي . . . لقد قفلت مزلاج النافذة بيدي حتى لا تراني أية عصفورة، وأضأت النور . . .

ضج المجلس كله بالضحك، حتى الأم، مع غضبها، لم تستطع أن تمنع نفسها من